

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٩ - سورة الحاقة

مكية . وآياتها إحدى وخمسون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (الْحَاقَّةُ)

[٢] (مَا الْحَاقَّةُ)

[٣] (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ)

« الْحَاقَّةُ » أى الساعة الحاقة التى تحق فيها الأمور ، ويجب فيها الجزاء على الأعمال . من قولهم : حق عليه الشيء ، إذا وجب . وقوله : « مَا الْحَاقَّةُ » من وضع الظاهر موضع المضمّر ، تفخيماً لشأنها ، وتعظيماً لهولها . « وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ » قال بعضهم : من عوائد العرب فى محاوراتهم اللطيفة ، إذا أرادوا تشويق المخاطب فى معرفة شيء ودرايته ، أتوا بإجمال وتفصيل . أى : أى شيء أعلم المخاطب ماهى ؟ تأكيذاً لتفخيم شأنها ، حتى كأنها خرجت عن دائرة علم المخاطب . على معنى : أن عظم شأنها ، وما اشتملت عليه من الأوصاف ، مما لم تبلغه دراية أحد من المخاطبين ، ولم تصل إليه معرفة أحد من السامعين ، ولا أدركوه وهمه ، وكيفما قدر حلها ، فهى وراء ذلك وأعظم . ومنه يعلم أن الاستفهام كناية عن لازمه ، من أنها لا تعلم ، ولا يصل إليها دراية دارٍ ، ولا تبلغها الأفكار .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤] (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ)

[٥] (فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَلَكَوْا بِالطَّاغِيَةِ)

[٦] (وَأَمَّا عَادٌ فَهَلَكَوْا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)

[٧] (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا

صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ)

[٨] (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ)

« كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ » أى بالساعة التى تفرع الناس بأهوالها وهجومها عليهم.

قال الزخشرى: ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة، زيادة فى وصف

شدتها. ولما ذكرها ونغمها، أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها، وما حل بهم بسبب

التكذيب، تذكيراً لأهل مكة، وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم.

« فَأَمَّا ثَمُودُ » وهم قوم صالح عليه السلام « فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ » أى بالواقعة المجاوزة

للحد فى الشدة، أو بطغيانهم. و (الطاغية) مصدر كالعافية.

« وَأَمَّا عَادُ » وهم قوم هود عليه السلام « فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ » أى: شديدة

المصوف والبرد. « عَاتِيَةٍ » أى: متجاوزة الحد المعروف فى المهبوب والبرودة.

« سَخَّرَهَا » أى: سلطها « عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا » أى متتابعات

من (حسمت الدابة)، إذا تابعت بين كتيها. شبه تتابع الرياح المستأصلة بتتابع السكى القاطع

للداء. أو معناه: نحسات، حسمت كل خير واستأصلته. أو قاطعات، قطعت دابرهم. هذا

على أن (حُسُومًا) جمع حاسم، كشهود وقمود. فإن كان مصدراً فنصبه بمضمر. أى تحسم

حسوماً، أو بأنه مفعول له. أى سخرها عليهم للحسوم، أى الاستئصال. وقد قيل: إن تلك

الأيام هى أيام العجز. والعامية تقول: (العجوز) وهى التى تكون فى عجز الشتاء، أى آخره.

« فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي » أى هلكى، جمع صريع « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ

خَاوِيَةٍ » أى ساقطة مجتثة من أصولها كآية^(١): « كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ مُنْقَعِرٍ »

« فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ » أى: بقاء. أو نفس باقية، أو بقية.

(١) [٥٤ / القمر / ٢٠].

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٩] (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ)

[١٠] (فَمَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً)

[١١] (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)

[١٢] (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)

« وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ » أى : من الأمم الكذبة ، كقوم نوح وعاد وثمود « وَالْمُؤْتَفِكْتُ » وهى قرى قوم لوط « بِالْخَطِئَةِ » أى : بالخطأ ، أو الأفعال الخاطئة ، على المجازى النسبة . « فَمَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً » أى : زائدة فى الشدة . « إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ » أى : كثر وتجاوز حده المعروف ، بسبب إصرار قوم نوح على الكفر والمعاصى ، وتكذيبه ، عليه السلام « حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ » أى السفينة التى تجرى فى الماء . قال ابن جرير^(١) : خاطب الذين نزل فىهم القرآن ، وإنما حمل أجدادهم نوحاً وولده ، لأن الذين خوطبوا بذلك ، ولد الذين حملوا فى الجارية ، فكان حمل الذين حملوا فيها من الأجداد ، حملاً لذريتهم .

« لِنَجْعَلَهَا » أى تلك الفعل التى هى إنجاء المؤمنين ، وإغراق الكافرين « لَكُمْ تَذْكِرَةً » أى : آية وعبرة تذكرون بها صدق وعده فى نصر رسله ، وتدمير أعدائه . « وَتَعِيَهَا » أى تحفظها « أُذُنٌ وَاعِيَةٌ » أى حافظة لما سمعت عن الله ، متفكرة فيه .

(١) انظر الصفحة رقم ٥٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[١٣] (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ)

[١٤] (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً)

[١٥] (فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)

[١٦] (وَأُنشِقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ)

[١٧] (وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ)

« فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ » أى : لخراب العالم .

قال أبو السعود : هذا شروع في بيان نفس الحاقة ، وكيفية وقوعها ، إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها .

« وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً » أى : رفعتا وضربتتا ببعضهما

من شدة الزلازل . وفي توصيفها بالوحدة تعظيم لها ، وإشعار بأن المؤثر لذلك الأرض والجبال وخراب العالم ، هي وحدها ، غير محتاجة إلى أخرى .

« فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ » أى : نزلت النازلة ، وهي القيامة .

« وَأُنشِقَّتِ السَّمَاءُ » أى : انصدعت « فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ » متمزقة .

« وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا » أى : جوانبها وأطرافها حين تشقق . « وَيَحْمِلُ عَرْشَ

رَبِّكَ فَوْقَهُمْ » أى : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها « يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ » أى : من الملائكة أو من صفوفها .

قال ابن كثير : يحتمل أن يكون المراد بهذا العرش (العرش العظيم) ، أو العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة ، لفصل القضاء ، - والله أعلم - انتهى .

ومثله ، من الغيوب التى يؤمن بها ، ولا يجب اكتناهاها . وتقدم فى سورة الأعراف ،

في تفسير آية (١) (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) كلام لبعض علماء الفلك على هذه الآية ، فتذكره .
 وذهب بعض منهم إلى أن المراد بالعرش ملكه تعالى للسماوات والأرض ، وبـ (الثمانية)
 السماوات السبع والأرض . وعبارته : (وَيَحْمِلُ) بالجذب (عَرْشَ رَبِّكَ) أى : ملك
 ربك للأرض والسماوات (فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ) أى : فوق الملائكة الذين هم على أرجائها
 يوم القيامة ، (تَمْنِيَةً) أى : السماوات السبع والأرض .

قال : وهذا يدل على أن (السبع) ليس للكثرة ، بل المراد به الحقيقة . فهم ثمانية
 يحملون العرش ، أى : ملك الأرض والسماوات السبع بالجذب ، كما هو حاصل اليوم .
 ولكن ذلك يكون بشكل عظيم جداً .

ثم قال : ولا وجه لمعترض يقول : إن حملة العرش مسبحة ، لقوله تعالى (٢) : (الَّذِينَ
 يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) فكيف تسبح السماوات والأرض؟
 لأنه يجب بقوله تعالى (٣) : (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) . اهـ .
 القول فى تأويل قوله تعالى :

[١٨] (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)

[١٩] (فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ)

[٢٠] (إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ)

[٢١] (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)

[٢٢] (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)

[٢٣] (قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ)

[٢٤] (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)

(١) [٧ / الأعراف / ٥٤] . (٢) [٤٠ / غافر / ٧] . (٣) [١٧ / الإسراء / ٤٤] .

« يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ » أى : على ربكم للحساب والمجازاة « لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ »
أى سريرة كانت تخفى فى الدنيا بستر الله .

« فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِيمِينِهِ » أى : علامة لفوزه « فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا
كِتَابِي » أى : تعالوا ، أوخذوا . والهاء للسكت ، لا ضمير غيبة .

قال الشهاب : فحقها أن تحذف وصلا ، وتثبت وقفاً ، لتصان حركة الموقوف عليه ،
فإذا وصل استغنى عنها . ومنهم من أثبتها فى الوصل لإجرائه مجرى الوقف ، أو لأنه وصل
بنية الوقف . وإثباتها وصلاً قراءة صحيحة ، ولا يلتفت لقول بعض النحاة : إنها لحن .

« إِنِّي ظَنَنْتُ » أى : علمت « أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيهِ » أى جزأى يوم القيامة . أى :
فأعددت له عذته من الإيمان والعمل الصالح .

« فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » أى : ذات رضا ، ملتبسة به ، فيكون بمعنى (مرضية) .
أو الأصل : راض صاحبها ، فأسند الرضا إليها ، لجمعها ، لخلوصها عن الشوائب ، كأنها

نفسها راضية مجازاً . ويجوز أن يكون فيه استعارة مكنية وتخيلية ، كما فصل فى (المطول) .

« فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا » جمع قُطْف بكسر القاف ، وهو ما يقطف من ثمرها
« دَانِيَةٍ » أى قريبة سهلة التناول .

« كُلُوا » أى : يقال لهم كلوا « وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ »
أى : الماضية فى الحياة الدنيا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٥] (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِشِمَالِهِ فَيَقْرَأُ يَلْتَمِسْ لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيهِ)

[٢٦] (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ)

[٢٧] (يَلْتَمِسُ كَانَتْ الْقَاضِيَةُ)

[٢٨] (مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ)

[٢٩] (هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ)

[٣٠] (خُذُوهُ فَغُلُّوهُ)

[٣١] (ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ)

[٣٢] (ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ)

[٣٣] (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ)

[٣٤] (وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ)

[٣٥] (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ)

[٣٦] (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ)

[٣٧] (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ)

« وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَبِشْمَالِهِ فَيَقُولُ » أى : عندما يلاقى العذاب « يَلْتَمِئَنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيَّةٌ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ » أى : أى شيء حسابى .
« يَلْتَمِئَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ » قال ابن جرير^(١) : أى ياليت الموتة التى مئتها فى الدنيا كانت هى الفراغ من كل ما بعدها ، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث . و (القضاء) هو الفراغ .
وقيل : إنه تمنى الموت الذى يقضى عليه ، فتخرج منه نفسه .

« مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ » أى : ما دفع من عذاب الله شيئاً .

« هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ » أى ملكى وتسلطى على الناس . أو حجتى ، فلا حجة لى

أحتج بها .

« خُذُوهُ » أى : يقال لخزنة النار : خذوه بالقهر والشدة « فَغُلُّوهُ » أى : ضموا يده إلى عنقه ، إذ لم يشكر ما ملكته .

(١) انظر الصفحة رقم ٦٢ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

« ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ » أى : أدخلوه ليصلّوا فيها ، لأنه لم يشكر شيئاً من النعم ، فأذيقوه شدائد النقم .

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ « أى حلقة منتظمة بأخرى ، وهى بثلاثة ، وهلم جرا .
« ذَرْعُهَا » أى : مقدارها « سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَأَسْلُكُوهُ » فأدخلوه فيها . أى : لِقْوَهُ بها ، بحيث يكون فيما بين حلقتها مرهقاً ، لا يقدر على حركة .

قال القاشانى : والسبعون فى العرف عبارة عن الكثرة غير المحصورة ، لا العدد المعين ثم علل استحقيقه ذلك ، على طريقة الاستئناف ، بقوله : « إِنَّهُ وَكَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ » أى : المستحق للعظمة وحده ، بل كان يشرك معه الجداد المهين .

« وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ » أى : إطعامه ، فضلاً عن بذله ، لتناهى شحه .
« فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ » أى : قريب تأخذه الحمية له .

« وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ » أى : من غسالة أهل النار وصديدهم .
قال ابن جرير (١) : كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : كل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو (غسلين) - فعلين - من الغسل من الجراح والدبر ، وزيد فيه الياء والنون بمنزلة عفرين .

« لَا يَأْكُلُهُوْ إِلَّا الْخَاطِئُونَ » أى . الآثمون ، أصحاب الخطايا . يقال : خطئ الرجل ، إذا تعمد الخطأ . قال الرازى : الطعام ما هيى للأكّل . فلما هيى الصديد ليأكله أهل النار كان طعاماً لهم . ويجوز أن يكون المعنى أن ذلك أقيم مقام الطعام ، فسمى طعاماً . كما قال (٢) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ *

(١) انظر الصفحة رقم ٦٥ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

(٢) صدره : * وَخِيلٌ قَدْ دَلَقَتْ لَهَا بَخِيلٌ *

وقائله عمرو بن معدى كَرَبَ (نوادر أبى زيد ص ١٤٩) .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣٨] (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ)

[٣٩] (وَمَا لَا تُبْصِرُونَ)

[٤٠] (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)

[٤١] (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ، قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ)

[٤٢] (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ، قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)

[٤٣] (تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ » أى : بالمشاهدات والمغيبات . وهذا القسم - كما قال الرازى - يعم جميع الأشياء على الشمول ، لأنها لا تخرج من قسمين : مبصر وغير مبصر ، فشمّل الخالق والخلق ، والدنيا والآخرة ، والعالم العلوى والسفلى ، وهكذا . وتقدم فى (الواقعة) الكلام على كلمة (لا أقسم) فتذكر .

« إِنَّهُ » أى : القرآن « لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » وهو محمد ﷺ ، يبلغه عن الله تعالى ، لأن الرسول لا يبلغ عن نفسه .

« وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ » أى : كما تزعمون ، فإن بين أسلوبه وحقائقه ، وبين وزن الشعلة وخيالاته ، بعد المشرقين .

« قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ » . تصدقون بما ظهر صدقه وبرهانه ، عناداً وعتوًّا . والقلة كناية عن النفي والعدم . ونصب (قَلِيلًا) على أنه نعت لمصدر ، أو زمان مقدر . أى إيماناً وزماناً . والناصب (تُؤْمِنُونَ) أو (تَذَكَّرُونَ) . و (مَا) زائدة - هذا ما قاله ابن عادل - وقال ابن عطية : يحتمل أن تكون نافية ومصدرية .

« وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ » أى كما تدعون أخرى بأنه من سجع الكهان « قَلِيلًا »

مَا تَذَكَّرُونَ» أى تتمظون وتعتبرون . قيل : نفي الإيمان فى الأول ، والذكرى فى الثانى ، لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بين ، لا ينكره إلا معاند . فلا عذر لقائله فى ترك الإيمان ، وهو أ كفر من حمار . وأما مباينته للكهانة ، فيتوقف على تذكري ما ، لأن الكاهن يأخذ جُملاً ، ويحجب عما سئل عنه ، ويتكلف السجع ، ويكذب كثيراً ، وإن التبس على الحق لإخباره عن بعض المغيبات بكلام منشور ، فتأمل .

« تَنْزِيلٌ » أى هو تنزيل « مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » أى ممن رباهم بصنوف نعمه ، ومنها ما نزل وأوحاه ليهدوا به إلى سبل السعادة ، ومناهج الفلاح .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٤٤] (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ)

[٤٥] (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)

[٤٦] (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)

[٤٧] (فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)

« وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ » أى افترى علينا . وسمى الكذب تقوُّلاً ، لأنه قول متكلف ، كما تشعر به صيغة التفعّل . و (الْأَقَاوِيلِ) إما جمع (قول) على غير القياس ، أو جمع الجمع كالأناعم ، جمع أقوال وأنعام . قيل : تسمية الأقوال المفتراة (أقاويل) تحقيراً لها ، كأنها جمع أفعولة من القول ، كالأضاحيك .

« لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ » قال ابن جرير^(١) : أى لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة ، ثم لقطعنا منه نياط القلب . وإنما يعنى بذلك أنه كان يعاجله بالعقوبة ، ولا يؤخره بها . وقد قيل : إن معنى قوله (لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) لأخذنا منه باليد اليمنى

(١) انظر الصفحة رقم ٦٦ من الجزء التاسع والعشرين (طبعة الحلبي الثانية) .

من يديه . قال : وإنما ذلك كقول ذى السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه : خذ بيده ، فأقنه ، وافعل به كذا وكذا : قالوا : وكذلك معنى قوله (لَا خَذَنَّا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) أى لَا أَهْتَاهُ . كالذى يفعل بالذى وصفنا حاله . انتهى .

وقال الزمخشريّ : المعنى لو ادّعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً ، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم ، معاملة بالسخط والانتقام . فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده ، وتضرب رقبته . وخص اليمين عن اليسار ، لأن القاتل إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره ، وإذا أراد أن يوقعه في جيده ، وأن يكفحه بالسيف ، وهو أشد على المصبور ، لنظره إلى السيف ، أخذ بيمينه . فعنى (لَا خَذَنَّا مِنْهُ بِالْيَمِينِ) لأخذنا بيمينه . كما أن قوله (لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) لقطعنا وتينه ، وهذا بيان . انتهى .

وما قرره الزمخشريّ أبلى في المراد ، وهو بيان المعاقبة بأشد العقوبة ، إذ على الأول يفوت التصوير والتفصيل والإجمال ، لأن قوله (بِالْيَمِينِ) بعد (لَا خَذَنَّا مِنْهُ) بيان بعد الإبهام ، ويصير قوله (مِنْهُ) زائداً من غير فائدة ، ويرتكب المجاز من غير فائدة أيضاً - كما في (العناية) - .

« فَمَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ » أى ليس أحد منكم يحجزنا عنه ، ويحول بيننا وبين عقوبته ، لو تَقَوَّلَ علينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٤٨] (وَإِنَّهُ لَشَدِيدٌ ذَكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ)

[٤٩] (وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ)

[٥٠] (وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ)

[٥١] (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ)

[٥٢] (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)

« وَإِنَّهُ » أى القرآن « لَتَذْكُرَةَ الْمُسْتَغْنِينَ » أى عظة لمن يتقى عقاب الله بالإيمان به وحده ، وما نزل من عنده . « وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ » أى له ، إشاراً للدنيا والهوى . أى فنجازيكم على إعراضكم . « وَإِنَّهُ وَلِحَسْرَةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ » أى ندامة عليهم ، إذا رأوا ثواب المؤمنين به . « وَإِنَّهُ وَلِحَقِّ الْيَقِينِ » أى للحق اليقين الذى لا ريب فيه . « فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » أى دُم على ذكر اسمه ، وادأب على الدعوة إليه وحده ، وإلى ما أوحاه إليك . فالماقبة لك ، ولمن اتبعك من المؤمنين .